الواقع وبنية التوتر في (ظهيرة جمعة)

زهير الجبوري

جليل حيدر

في واحدة من أهم مميزات القصيدة الحديثة انها لا تقف على تمركزات الشكل ، او لا تنطوي على جدلية اللّعب اللغوي الذي يفتح ذهنية عالية في تحويل المدرك والمحسوس الى فضاءات اوسع ، انها تأخذ مجازية العبارات على محك مباشر في الجملة الشعرية ..

واستطاع الشاعر المعاصر خلق نمطه الشعري عبر دلالات الواقع وايقاع الحياة فيه ، وهذا ما لمسناه في النصوص المنشورة وفي المجاميع الشعرية المطروحة راهنا، ولعلنا نقرأ ما كتبه الشاعر (جليل حيدر) في قصيدته الاخيرة (ظهيرة جمعة في برج السعدون) المنشورة في ثقافية المدى (٢٠١٢/١/٢٨) في العدد (٢٣٧٧) وهي تكشف قراءة الواقع بطريقة شعرية محدثة ومشحونة بالكثير من المتناقضات والمفارقات السسيولوجية والفكرية وحتى النفسية .. القصيدة انطوت على قراءة الواقع عبر نص شعري انفتح على الحس التواتري بقصدية تأجيج الحدث العياني من لدنه . أي الشاعر . وانشداد المتلقي واقناعه بأن للشعر وظيفة كشف الواقع بالطريقة الشعرية ذاتها..

ولا ضير من جعل النص الشعري بؤرة حدث لقراءة حالة يرتأيها الشاعر أو حادث يقع في مكان وزمان معينين .. غير أن ما نقرأه ونشاهده ونعيشه يثير عندنا تساؤلات كبيرة حول ما يطرح من أزمات لا حلّ لها في الوقت الحالي ..

في (ظهيرة جمعة)، يفتح الشاعر تجليات واسعة في قصيدته للكشف عن مكونات البنى المعاشة لـ(المكان.. الزمان.. الحدث.. المشهد) ، ربما لأن مفهوم الانسجام مع الواقع هو ما أثار الشاعر في بناء نصه وفق انفعالات وتواترات هائجة ، تواترات صيغت بطريقة انفعالية (غنائية)، هي اقرب إلى كونها تحمل مسحة غنائية ذات استحداثات مونولوجية داخلة وخارجة في آن واحد في عمق الشاعر (ذاته)، فـ(جليل حيدر) فتح منافذ لذهنية القصيدة المعاصرة بقناعة كشف ملامح القراءة الثقافية للواقع، بمعنى قراءة الواقع النصي بأنساقه العيانية المضمرة، لنقرأ في مستهل القصيدة :

هكذا هي بغداد: جملة عصبية وعبور غبي
من بداية حزّ الرؤوس إلى الصلوات
هكذا هي بغداد : شارع يطوى على كثب
وانفجار ومحابر، شارع تغلقه ملائكة
خضر سود ، خشية جحيم محلي ، ولحى خلف الحدود
هكذا هي بغداد : سجال بين هاوية ومنائر

وانطلاقاً على ما تقدم من استهلال فيه وضوح تعبيري في مطلع القصيدة، فإن الوضوح هذا يقف على الفعل الاستفهامي القصدي في العبارة (هكذا هي بغداد) التي تكررت مرات عديدة ، لتتناظر مع سياق المعنى الشعري الذي يبحث عن تمركزات الشعور الاحساسي بالألم اليومي، حيث نلمس تحولات دلالية فاعلة في مضمون القصيدة، و(بغداد) أصبحت بؤرة انطلاق مكاني للكشف عن قراءة سسيولوجية وسسيونصية/ مقدسة، حيث (جملة عصبية.. حزّ الرؤوس إلى الصلوات.. انفجار محابر.. هاوية)، كلّها أخذت فعلها الخطابي الواضح لما نعيشه من فعل وحراك يومي مضطرب، والشاعر أخذ على عاتق النص الشعري عبر توظيفات لغوية/ مهارية فاعلة..

ومع التحول المضموني في القصيدة عندما يقول:

هذه بغداد: عودة إلى الظلام،
وتبشير بصباح مقيد اليدين..

لا يكتفي الشاعر بإعادة مشهدية الانفعال بأسلوب يحمل السمة التعبيرية، إنما قام بفتح جملته بطريقة متماهية مع فعل الإشارة (هذه بغداد) إلى الواقع الظلامي المشحون بسلطة الظلام الأيديولوجي المقدس..

تستدعينا القصيدة إلى مستويات متمحورة حول جدلية الذات الهاربة وجدلية الموضوعة المقصودة.. ولأن الشدّ الشعري المتواتر حاضر في القصيدة هذه، فإنها إما أن تقوم على انسجام متداخل بين (ذات الشاعر ونصه) ، وإما أن يكون (تنافرا أو تضادا) ، وكلتا الحالتين تخلقان قراءة توترية لدى الشاعر في مضمون نصه..

في العبارات الآتية نمسك (ذاتوية) الشاعر وهي منسرحة عبر تساؤلات مشرعة على ارض الواقع (كيف أتأكد من أصدقائي ، أتأكد من الماضي .. كيف أتأكد من أبي نؤاس .. أمل أن يهمس لي)، هذه العبارات تبلور شحنات التوتر عبر علائق اللّغة الشعرية، لكنها تمسك بأوجاع الحاضر المليء بالفجوات القلقة، ولم يكن للشاعر الاّ أن يمارس سلطته الشعرية عبر القصيدة، لكن كيف له أن يستدعي (تلك الديناصورات التي ابتلعت العاصمة) وأعطتها الظلام الدامس ليسمعهم صوت شعب بأكمله، شعب يمني النفس ببارقة ضوء قادمة..

في حين نلمس الموضوعة التي اشتغل عليها الشاعر وهي تكشف عن زمان انبثاق كتابة القصيدة (وهذا ما قرأناه في نهايتها، ومعنون/ بغداد ٢٠١٢.١.١٨) وخلق حينها المشهد الشعري، فبغداد في كل مقطع بناه الشاعر، تمثل المرحلة المدونة هذه، نقرأ:

هكذا بغداد :
عمياء مثل مومس السياب
غريبة كمطلقة، وفريسة للسمندر

نجد في المقطع هذا تركيز الشاعر على بناء صورة شعرية لها دلالاتها البنائية المجازية للواقع، فهو يكرس جهده لإقامة صلة عميقة بعالمه المحيط به ومحاولة تفجير المسكوت عنه من خلال استخدام خيط التناص لـ(مومس السياب) الذي يؤكد العماء المنحرف والمتخبط بظلام الانهيار ، أو حتى عبارة (غريبة مطلقة) وهي تتناظر مع عبارة (فريسة للسمندر)، تبين حقيقة تشكيل علاقات حضورية تعتمد البناء النصي عبر رؤية عيانية، بل نشعر ايضاً أن الشاعر كتب قصيدته بوصفها نصاً معارضاً للآخر المعني، حيث كشف قناع الواقع المزيف بالتراسيم وبالألوان وبالعلامات وبالممارسات غير المتلائمة لحقيقة مدينة لها عمقها الثقافي والجمالي والفني المعروف.

في المقطع الأخير نقرأ النهاية المفتوحة لفاجعتنا، غير أن المقطع هذا كان أكثر تجريداً من حيث البناء اللغوي/ الشعري، وهو تحول انسلخ من طريقة كتابة القصيدة التي لا تشعرك بتحولاتها المضمونية، وهي ميزة فنية تمتع بها الشاعر بمهارة عالية:

هكذا يا عليّ
من أربعينية الرماد
إلى صفير خاص دائماً
لكن هناك

أشعر بعمق الأسى الذي كتبه (جليل حيدر) ، وأنا أقف على عبارات شعرية كتبت بطريقة الانفعال أو التوتر، ولأنها . أي القصيدة . مهداة إلى (علي محمود) فقد حصر توالي المقاطع الأولى بعبارة (هكذا يا علي) ، وعاد إلى البنية الدلالية لـ(أربعينية الرماد) ، تلك الأربعينية المبتلاة بجحيم المدينة ذاتها ، والى الصفير المدوي الذي أعطاه إشكالية اللانهائية بعبارة (لكن هناك)، هذا الانفتاح اللامحدود.. الانفتاح الذي أذاقنا الخوف من المجهول الذي هو نحن..

(استخلاص)

يجب أن نؤكد أن الشعرية المعاصرة واكبت الحدث بتفاصيل دقيقة وبجرأة عالية على يد شعراء لهم حضورهم الفاعل في الساحة العراقية، وعلى الرغم من الوعي الشعري الذي تمتع به شعراؤنا، فإن الميزة الأهم أنهم كتبوا بسلطة الشعر ذاتها، وجليل حيدر أكد ذلك في قصيدته (ظهيرة جمعة في برج السعدون)، ولا ننكر قدرة الشاعر على بناء نص بهكذا أسلوب بنائي، لكن الشيء الأهم هو كشف سياسة الواقع المرير، وأنفاق الاظلام القصدي، ورجالات عصور ما قبل التاريخ، وزيف الثياب المهدلة، الأهم أن الشعر بدأ يكشف حقائق الألسن المجانية الجاهزة بإيقاع الكلام المقدس، وبزيف الطقوس التي جعلتنا نشك في أننا من مجتمعات العالم الثالث ، إن لم نكن في آخره .

منطقة محررة

نجم والي

على خطى جويس في يقظة فينجينيان

١-٢

بدأ يوم السبت بداية حسنة، طقس جميل يكشف وجه المدينة "الحضاري" الدمث، بضوء باهر وأزواج وعائلات تتجول في المدينة، وجوهها تضحك، تحمل حقائب كبيرة من البلاستيك، وكلما ظهرت الشمس

قوية في الشمال، ازدادت رغبة الناس هنا في التسوق: "السوق والشمس" عنوان مقترح لأطروحة دكتوراه "ما بعد حداثية" لكن قبل كل شيء دكتوراه أصلية "غير مسروقة من سوق مريدي!" (على طريقة شهادات الدأ في العراق، على أية حال هذا موضوع عارض. فعادة أعبر عن احتجاجي البسيط بمقاطعة التسوق والتجول عبر وسط المدينة في مثل هذه الأيام المشمسة واكتفي بالذهاب إلى النهر القريب، أتمشى عند ضفافه أو أجلس عند إحدى حاناتي المفضلة، هناك أجلس طويلاً أراقب القوارب الصغيرة التي تمر من أمامي، لكنني في هذا السبت المشمس وجدت قدماي تقودانني إلى مركز المدينة مثل كل سنة، في يوم السادس عشر من حزيران/يونيو، حيث حانة "يقظة فينيجيان" واحدة من سلسلة حانات إيرلندية تحمل الاسم ذاته في معظم مدن أوروبا الكبيرة - حيث واظبت على الاحتفاء بيوم السادس عشر من حزيران العام ١٩٠٤، يوم جيمس جويس ورواية يوليسيس، في معظم مدن أوروبا، إذا صادف وكنت هناك في ذلك اليوم، عادة استحوذت عليّ منذ أيام إقامتي في نهاية سنوات الثمانيات في العاصمة الاسبانية مدريد، حيث كانت عندي صديقة تهيم بجويس والسبب تقول لفحشه (رغم أنه ليس هناك دليل في كل الصور التي رأيته فيها على ذلك)!... لكن ولقول الحق فإن حانة برلين تملك عبق سنوات ١٩٠٤، عبق لا تشاركه فيه إلا بعض من الحانات الإيرلندية الأخرى، حتى لو امتلأت كما هي الحال اليوم بعشاق الكرة، حيث تجمع جمع كبير من الإيرلنديين المقيمين في العاصمة الألمانية ليتابعوا على شاشة التلفزيون المباراة المنقولة مباشرة في مسابقات كأس أوروبا، كيف لا وفريقهم شارك في بطولة الأمم الأوروبية في هذه الدورة؟

لكن بعيداً عن الكرة، فإن يوم السادس عشر من حزيران/ يونيو ١٩٠٤ هو يوم يوليسيس، يوم ليوبولد بلوم/ حيث بدأ اللف والدوران عبر أزقة دبلن منذ الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الثالثة ظهراً من اليوم نفسه، مثلما هو أيضاً يوم ستيفان ديدالوس والمرأة الممتلئة الخليعة، مولي، الذين يبدو أنهم يعيدون حياتهم في هذا اليوم بقوة أكثر حتى الآن من تلك التي امتلكوها دائما، مثلهم مثل الخيالات التي تعود لتعرض نفسها كل سنة في تاريخ محدد، في مكان معين وفي تقويم ملزم، ومثلما هي الحال مع شكسبير، مع سرفانتيس، أو مع دانتي، من الممكن التعلم من جيمس جويس تقريباً كل دروس الحياة والأدب، لكن بين ذلك هناك درس واحد يهمني أكثر من أي درس آخر، ويجعلني أنتبه له في أزماننا اللعينة هذه أكثر من أي وقت آخر، أنه الدرس الذي لم يعره رفاق الكتابة الحقيقية بيننا الانتباه الكافي: ذلك أنه أمر باطل الإدعاء بأن نزوع الكاتب للكوزموزبوليتية يتعارض مع بقاء الكاتب أميناً لمكانه الأول - مدينته، لكي لا نقول بلاده - فليس البقاء في المكان - رغم الاضطهاد الذي يعيشه المرء - هو شرط الكتابة الوحيد. على العكس، من الأفضل أن يتنفس المرء هواءً آخر. "الإقامة الجبرية في المكان" ليست شرط الإبداع، وكذبة كبيرة تلك التي تريد تعليمنا أن هناك حالة قطع بين "البقاء أميناً للتقاليد" وبين نزعة الكاتب الكوزموزبوليتية: جيمس جويس، كوزموزبوليتي ويتحدث لغات شتى، منفي أبدي، مهاجر لمدينة ولادته وبلاده الضيّقة الأفق بشكل مبالغ والتي كانت تغلي تحت ظل القيم الإقليمية والقومية، كان عليه أن يخترع هواءه الخاص، أن يخترع كتباً تتنفس جواً جميلاً، و"طائشاً" - في عرف التقليديين - لكي تكون هذه الكتب كل شيء ولكل البشر.

عبد اللطيف بندر أوغلو في مهرجان الجواهري

بغداد/ المدى

ابراهيم الخياط

قال المتحدث الرسمي باسم الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين الشاعر إبراهيم الخياط " للمدى " إن اتحاد الأدباء اكمل الاستعدادات المبكرة لمهرجان الجواهري في دورته التاسعة، وسينطلق المهرجان من ١١ - ١٣ تشرين الأول، حيث سيطلق اسم الشاعر التركماني المعروف عبد اللطيف بندر اوغلو على دورة هذا العام للمهرجان، بعد أن أطلق اسم الشاعر الكردي عبد الله كوران على الدورة السابقة".

وأشار إلى أن "إطلاق أسماء شعراء ورموز كبار للثقافة العراقية يعدّ تأكيداً على تنوع ثقافات العراق، وهي حالة صحية أن يتم الحرص على استذكار جميع رموز ثقافات العراق، فالمسألة ليست اختلافاً في الثقافات بل جميعها تصب في بوتقة ارض الرافدين وثقافاتها العريقة والأصيلة."

وأكد الخياط بالقول أن "الاتحاد وجه دعوات إلى ١٠٠ أديب عراقي من شتى المحافظات والأجيال للمشاركة في دورة مهرجان الجواهري هذا العام"، مشيرا إلى أن "العائق المادي يحول دون دعوة شعراء العراق في الخارج، أو العرب، لأن المهرجان سيقام بإمكانات الاتحاد البسيطة من دون دعم وزارة الثقافة."

ولفت إلى أن "هناك جلستين مميزتين ستعقدان ضمن فعاليات المهرجان إحداهما ستتم في يخت سيتوجه من الاعظمية إلى الجادرية، على مدى ساعتين، فيما سيتم نقل نشاطات اليوم الثاني من المهرجان الموافق يوم الجمعة ١٢ تشرين الأول المقبل إلى شارع المتنبي بهدف إضفاء الشعبية على المهرجان وعدم جعله مهرجانا نخبوياً".

وأضاف الخياط "تم عقد ست دورات للمهرجان في شهر تموز لأنه الشهر الذي شهد ولادة ورحيل الشاعر الكبير الجواهري، أما في العامين الأخيرين وهذه السنة فقد ارتأينا إقامته في شهر تشرين الأول"، مشيراً إلى أن "هذا المهرجان له أهمية تفوق أهمية المربد لأنه مرتبط بالعراق الجديد، فالجواهري كان محارباً من قبل النظام البعثي المباد، وقد أزيل اسمه حتى من الكتب المنهجية للمدارس، في حين أن العرب كانوا يطلقون عليه شاعر العرب الأكبر."

و"من المحاور النقدية التي سيشهدها المهرجان، محوران: الأول يتعلق بثقافة الطفل، والثاني صراع الأشكال الشعرية، وهي أوراق تقدم من قبل أكثر من أديب، تم تكليفهم بإعداد أوراق بشأن المحورين."

وبيّن الخياط "أليتا على أنفسنا تنظيم افتتاحية المهرجان لهذا العام في المسرح الوطني، وسنقوم باستضافة الفرقة السيمفونية" منتقداً قيام وزارة الثقافة باستيفاء مبلغ ٥ ملايين دينار عن تأجير قاعة المسرح"، لافتاً إلى أن "هذا المبلغ كبير على الاتحاد، وينبغي على وزارة الثقافة دعم النشاطات الثقافية وليس وضع العراقيل المادية أمامها، وتكبيد الاتحاد مبالغ لقاء إشغال المسرح الوطني لإقامة افتتاحية مهرجان ثقافي رصين مثل مهرجان الجواهري."

البغدادي في نادي الشعر

قصائد حديثة تستلقي على جسد العمود

محمود النمر

هي جلسة مميزة لا شك فيها، فهي تنطلق لكي نحتفي بشاعر عراقي أصيل، يكفي أن اسمه كان يتردد حتى في غيابه عن الوطن، ويكفي أن قصائده تصل إلينا، ويكفي أن مجموعة شعرية مهمة استطاعت أن تصل إلينا رغم المسافات الطويلة التي تفصل بيننا ، فهو في اللحظة الشعرية قريب جدا من الوسط العراقي، هو شاعر يعرفه الجميع، ويعيش معهم ويعيشون معه، كتب القصيدة ذات الشطرين بإبداعها الأصيل، وهو من الشعراء الذين وقعوا على بيان "قصيدة شعر" في بداية التسعينات، واسهم كذلك منذ بداية التسعينيات في تنضيج هذه الفكرة، وقد أحرز جوائز عدة في حقل الشعر، ولكنه لم يتوقف عند كتابة الشعر فقط، فهو كاتب مسرحي، نال جائزة الإبداع في حقل كتابة النص المسرحي من إمارة الشارقة، كذلك هو قاص يكتب القصة القصيرة، وفازت مجاميعه القصصية بجوائز عربية مهمة ، فهو أيقونة من أيقونات الإبداع العراقي، انه الشاعر محمد البغدادي .

بهذه المقدمة استهل الشاعر عمر السراي، جلسة نادي الشعر في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ، التي ضيفت الشاعر محمد البغدادي.

لم يتعود لساني على المديح ولذلك سأكتفي بكلمة واحدة، شكرا لكم، وسأترك القصيدة تعرفكم بي، ثم بدأ بقراءة بعض من قصائده العمودية التي نالت إعجاب الحضور حيث تنتمي هذه القصائد إلى الشكل الجديد في كتابة القصيدة ذات الشطرين/ أنت يل الطفل في غيابة جب/ والعزيز الأخير غادر مصرك . ثم تحدث عن البيان التأسيسي لبيان "قصيدة شعر" وعن تلك الإشكالات التي انفرطت من خلال ذلك البيان قال : تحديداً في سنة ١٩٩١، تأسست رابطة الشعراء الشباب في بغداد ثم انتقلت إلى جميع محافظات العراق، لتأسيس فروع لها في تلك المحافظات، ومن حسن الحظ أنني كنت من الأعضاء الأوائل الذين انتموا إلى تلك الرابطة، كان هدف الرابطة منذ تأسيسها الأول، أن تخلق منصة للشعراء الشباب، لم تكن تهدف الى أن تصارع الأجيال أو تكون مؤسسة بديلة لاتحاد الأدباء، لكنها كانت تريد أن تجمع الشعراء الشباب، وان تعطيهم فرصة ليقدموا نتاجاتهم وإبداعاتهم، في تلك الأيام كان العراق وكما تعرفون يعيش أياما عصيبة في زمن الحصار المر، فقد خرج توا من حرب طويلة ، ودخل في نفق الحصار ، وان هذا المشهد اجبر الشعراء الشباب على أن يجدوا طريقة جديدة في كتابة قصيدة العمود الشعري، ولا أقول شكلا جديدا، ولكن هي طريقة جديدة للقصيدة، ربما هي تغرق في الرمزية، لكي تقول ما لا تستطيع أن تقوله في المباشرة التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، وبتناقض للتجارب الشعرية للشعراء الشباب ، ظهر نوع جديد من الشعر فهو مختلف عن السائد، فهو ليس شعرا تقليديا من جهة، وليس شعرا حداثيا من جهة أخرى ولكنه ملتزم بأصول الشعر العربي، علما أن قصيدة الشعر ليست جديدة وقد نجدها كتبت في عصر ما قبل الإسلام.

كانت قراءات محمد البغدادي لقصيدة العمود فيها دلالات جميلة تحاول أن تفلت من التقليد العمودي لما تحمله من انزياحات وصور متداخلة تلبس ثوب الحداثة وان كانت مستلقية على جسد العمود.

عمر السراي ومحمد البغدادي